(٨١) سورة التكوير

في رحاب السورة الكريمة

سورة كريمة نزلت بمكة المكرمة بعد سورة المسد، وهى تسع وعشرون أيه، تعالج أمرين هامين هما:

أولاً: يوم القيامة وما فيه من أهوال وشدائد تشمل، الشمس والنجوم والجبال والبحار والأرض والسماء والأنعام والوحوش كما تشمل الإنسان وتهُز الكون هزا عنيفا.

ثانيًا: رغبة النبى ﷺ لينتقل البشر جميعا من ظلمات الشرك والضلال إلى نور الإيمان والعلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ۝١٤ ﴾

معانى المفردات:

الشمسُ كُوِّرت: أزيل نورها — النجوم انكدرت: تساقطت وتهاوت

الجبالُ سُيِّرت: أزيلت من مواضعها — العشار عطلت: النوق الحوامل أهملت

الوحوش حشرت: جمعت من كل صوب.

البحار سُجرت: فُجرت فصارت بحرا واحدا

النفوس زوجت: قرنت كل نفس بشكلها — الموؤدة: البنت التى تدفن حية

السماء كشطت: قلعت كما يقلع السقف — الجحيم سُعّرت: أوقدت نارا

الجنة أزلفت: قُرّبت وأدنيت.

التفسير:

الآيات الكريمات بيان لأهوال يوم القيامة وما يكون فيها من الشدائد والكوارث وما يعترى الكون والوجود من مظاهر التغيير والتخريب والمعنى: إذا الشمس أزيل ومُحِيَ ضوؤها ﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴾أى تساقطت من مواضعها وتناثرت، ﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ أى حُركت من أماكنها وسُيِّرت فى الهواء حتى سارت كالهباء، ﴿ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾أى إذا النوُّق الحوامل تركت هملا بلا راع ولا طالب، وخُصَّ النوق بالذكر لأنها كرائم أموال العرب[1] ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ أى جمعت من أوكارها وأجحارها ذاهلة من شدة الفزع ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ أى تأججت نارا وصارت نيرانا تضطرم وتلتهب ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ أى قرنت بأشباهها فقرن الفاجر مع الفاجر، والصالح مع الصالح، قال الطبرى: يقرن بين الرجل الصالح مع الصالح فى الجنة وبين الرجل السوء مع الرجل السوء فى النار[2] ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ أى وإذا البنت التى دفنت وهى حية سئلت توبيخا لقاتلها: ما هو ذنبها حتى قتلت؟. جاء فى التسهيل: الموءودة، هى البنت التى كان بعض العرب يدفنها حيَّة من كراهتهم لها أو غيرته عليها، فتسأل يوم القيامة، "بأى ذنب قتلت"[3] وذلك على وجه التوبيخ لقاتلها، ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ أى وإذا صحف الأعمال نشرت وبسطت للحساب ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴾ أى إذا السماء أزيلت ونزعت من مكانها كما ينزع الجلد عن الشاه ﴿ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾ أى وإذا نار جهنم أوقدت وأضرمت لأعداء الله تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ اى وإذا الجنة أدنيت وقُرِّبت من المتقين، ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾ أى علمت كل نفس ما أحضرت من خير أو شر، وهذه الجملة "علمت نفس" هى جواب ما تقدم من أول السورة.

---

(١) صفوة التفاسير للأستاذ محمد على الصابونى ص ١٦٨٩.

(٢) هذه رواية الطبرى عن عمر بن الخطاب وقيل المراد قرن الأجساد بالأرواح والأول أرجح والله أعلم.

(٣) التسهيل فى علوم التنزيل ١٨١/٤.

الإعراب:

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ	إذا ظرف مستقبل يتضمن معنى الشرط، وجوابها فى الاثنى عشر موضعا التى وقعت فيها قوله: علمت نفس، وهى متعلقة بجوابها، الشمسُ نائب فاعل مرفوع مقدر يفسر ما بعده وإلى هذا الرأى مال الزمخشرى ومنع أن يرتفع بالابتداء لأن إذا تتقاضى الفعل لما فيها من معنى الشرط، ولكن ما منعه الزمخشرى من وقوع المبتدأ بعدها أجازه الكوفيون والأخفش من البصريين، وجملة كُوِّرت جملة فعلية مُفَسَّره لا محل لها.
وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ	عطف على ما تقدم ومماثلة لها فى الإعراب ولكن النجوم هنا فاعل بفعل يفسر قوله "أنكدرت".
وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ	عطف أيضا والجبال والعشار نائبا فاعل بفعل محذوف.
وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ	عطف أيضًا على ما سبق.
وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ	عطف أيضا على ما سبق.
وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ	عطف أيضا على ما سبق، بأى جار مجرور متعلقان بقتلت وذنب مضاف إليه مجرور والجملة مفعول سئلت الثانى.

وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ	عطف على ما تقدم أيضًا.
عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ	الجملة لا محل لها من الإعراب لأنها جواب إذا، وعلمت فعل ماض مبنى ونفس فاعل، ما اسم موصول مبنى فى محل نصب مفعول به، أحْضَرَت فعل ماض والفاعل ضمير مستتر والجملة صلة الموصول لا محل لها.

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

معانى المفردات:

فلا أقسم: أقسم ولا مزيدة
الجوارى: السيارات
عسعس: أقبل ظلامه، أو أدبر
مكين: ذى مكانة رفيعة

الخُنَّس: الكواكب التى تختفى نهارا
الكُنَّس: التى تغيب حين غروبها
تنفس: أضاء وتبلج
ضنين: بخيل مُقصِّر فى تبليغه.

التفسير:

يقسم الله عز وجل قسما مؤكدًا بالنجوم المضيئة التى تختفى بالنهار وتظهر بالليل[1] ﴿ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴾ أى التى تجرى وتسير مع الشمس والقمر ثم تستتر وقت غروبها، كما تستتر الظباء فى كناسها "مغاراتها" قال القرطبى: النجوم تخنَّس بالنور وتظهر بالليل، وتكنى وقت غروبها أى تستتر كما تكنسُ الظباء فى الغار الكنَّاس[2]

(١) هذا قول على وابن عباس ومجاهد والحسن كذلك فى الطبرى ٣٠/٤٨.

(٢) القرطبى ١٩/٢٣٥.

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾ اى أقسم بالليل إذا أقبل بظلامه حتى غطى الكون، ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ أى وبالصبح إذا أضاء وتبلج واتسع ضياؤه حتى صار نهارا واضحا ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾ أى هذا هو المقسم عليه أى إن هذا القرآن لكلام الله تعالى المنزل بواسطة ملك عزيز على الله هو جبريل كقوله تعالى "نزل به الروح الأمين على قلبك".

قال المفسرون: أراد بالرسول جبريل وأضاف القرآن إليه لأنه جاء به، وهو فى الحقيقة قول الله تعالى، وما يدل على أن المراد به جبريل قوله بعده ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴾ أى شديد القوة، صاحب مكانة رفيعة، ومنزلة سامية عند الله جل وعلا ﴿ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴾ أى هناك فى الملأ الأعلى، تطيعه الملائكة الأبرار، مؤتمن على الوحى الذى ينزل به على الأنبياء ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴾ أى وليس محمد الذى صاحبتموه يا معشر قريش، وعرفتم صدقه ونزاهته ورجاحة عقله لمجنون كما يزعم أهل مكة، فنفى تعالى عنه الجنون، وكون القرآن من عند نفسه، ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ أى وأقسم لقد رأى محمد ﷺ جبريل فى صورته الملكية التى خلقه الله عليها بجهة الأفق الأعلى البين من ناحية المشرق حيث تطلع الشمس قال فى البحر: وهذه الرواية بعد أمر غار حراء حين رأى جبريل على كرسى بين السماء والأرض فى صورة له ستمائة جناح قد سدَّ بين المشرق والمغرب[1] ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴾ أى وما محمد على الوحى ببخيل يُقصِّر فى تبليغه وتعليمه، بل يُبلغ رسالة ربه بكل أمانة وصدق ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴾ أى وما هذا القرآن بقول شيطان ملعون كما يقول المشركون ﴿ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴾ أى فأى طريق تسلكون فى تكذيبكم للقرآن، واتهامكم له بالسحر والكهانة والشعر مع وضوح آياته وسطوع براهينه؟ وهذا كما تقول لمن ترك الطريق المستقيم: هذا الطريق الواضح فأين تذهبون؟ ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ أى ما هذا القرآن إلا موعظة وتذكرة للخلق أجمعين، ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴾ أى لمن شاء منكم أن يتبع الحق، ويستقيم على شريعة الله ويسلك طريق الأبرار ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ أى وما تقدرون على شيء إلا بتوفيق الله ولطفه فاطلب من الله التوفيق إلى أفضل طريق.

---

(١) البحر المحيط ٨/٤٣٤.

الإعراب:

فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ	الفاء استئنافية، لا حرف نفى لتأكيد القسم، أقسم مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا، بالخنس جار ومجرور متعلقان بأقسم.
ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ	الجوارى نعت أو بدل، الكنس نعت للجوارى.
وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ	الواو للقسم، الليل مقسم به مجرور والجار والمجرور متعلقان بمحذوف تقديره أقسم، إذا ظرف متعلق بفعل القسم وجملة عسعس فى محل جر بإضافة الظرف إليها، والصبح عطف على الجملة السابقة وإنما لم يعطف الليل على الخنس لأن الواو واو الابتداء، وسيبويه لا يرى الواو المنفية للقسم ابتداء قسم بل عاطفة، إذا تنفس نفس إعراب إذا عسعس.
إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ	إنه إن واسمها، اللام للتوكيد، قول خبر إن مرفوع، رسول مضاف إليه مجرور، وكريم نعت مجرور.
ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ	ذى نعت ثان مجرور بالياء، قوة مضاف إليه مجرور، عند ظرف، ذى مضاف إليه، العرش مضاف وشبه الجملة فى محل نصب حال، مكين صف ثالثة.
مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ	مطاع صفة رابعة، ثمَّ ظرف بمعنى هناك متعلق بمطاع، وأمين صفة خامسة.
وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ	الواو عاطفة، وما نافية حجازية، وصاحبكم اسمها، والباء حرف جر زائد، ومجنون مجرور لفظا منصوب محلا على أنه خبر ما والجملة معطوفة على ما سبق.

وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ	الجملة معطوفة أيضا على ما تقدم، اللام جواب القسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، رآه فعل ماض والهاء فى محل نصب مفعول به والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على الرسول ﷺ، بالأفق جار ومجرور متعلقان برآه والمبين نعت مجرور.
وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ	الواو عاطفة، ما نافية حجازية، هو ضمير مبنى فى محل رفع اسمها، على الغيب جار ومجرور متعلقان بضنين، بضنين مجرور لفظا منصوب محلا خبر ما الحجازية.
وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ	الجملة معطوفة على ما سبق وبنفس الإعراب السابق.
فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ	الفاء عاطفة، أين اسم استفهام فى محل نصب ظرف مكان متعلق بتذهبون، تذهبون مضارع مرفوع بثبوت النون.
إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ	إن نافية، هو ضمير فى محل رفع مبتدأ، إلا أداة حصر، ذِكْر خبر، للعالمين جار ومجرور متعلقان بذكر أو نعت له، ولمن بدل من قوله للعالمين بإعادة العامل وهو اللام وجملة شاء لا محل لها لأنها صلة من، منكم فى محل نصب حال، وأن وما فى حيزها مفعول به لشاء.
وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ	الواو عاطفة، ما نافية، تشاءون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل، إلا أداة حصر، وأن وما بعدها فى موضع نصب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بتشاءون، الله فاعل ورب بدل أو نعت لله، والعالمين مضاف إليه مجرور، واختار البيضاوى نصب المصدر المؤول على الظرفية وعبارته: ما تشاءون الاستقامة يا من تشاءونها إلا أن يشاء الله، أى إلا وقت أن يشاء الله مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم[1].

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحى الدين الدرويش ص ٣٩٧ المجلد العاشر.

لقد حفلت السورة الكريمة ببعض الصَّور البيانية نذكر منها:

الاستعارة التصريحية: فى قوله تعالى: "والصبح إذا تنفس" حيث شبه فيها النهار وسطوع الضياء بنسمات الهواء العليل التى تحيى القلب واستعارة التنفس لإقبال النهار بعد الظلام الشديد وهذا من لطيف الاستعارة وأبلغها حيث عَبر عنه بتنفس الصبح.

- الكناية فى قوله تعالى: وما صاحبكم بمجنون حيث كنَّى عن النبى ﷺ بلفظ صاحبكم.
- الطباق بين "الجحيم والجنة".
- الجناس فى قوله تعالى "بالخُنَّس.... الكُنَّس" وهو جناس ناقص كذلك بين "مكين... أمين".
- السجع الجميل على رءوس الآيات وهو سجع غير متكلف.

obeikandl.com